

فهل يشترط في الخليفة أن يكون من بيت الرسالة، أم يكفي أن يكون معروفاً بالكفاية الذاتية والدينية لتولى هذه الوظيفة ولو لم يكن من بيت الرسالة ومن قبيلة الرسول؟ ولا يهمننا في هذا البحث أن تحقق باعث الخلاف في الرأي سواء حول الإمامة العامة ومؤهلاتها، أو حول تقدير عمل الإمام والحكم عليه - أيرجع إلى الرغبة في تحرى الحق وحده ومعرفة وجه الصواب، أم إلى عاطفة من العواطف الشخصية وإن كان الذي يذكر في كتب التاريخ هنا أن هذا الفريق أو ذاك قصد الحق في رأيه، وأنه بخلاف أراد أن يجنب الجماعة العمل بما يخالف الإسلام. كما يذكر أيضاً أن كل فريق حاول أن يبرر رأيه من الكتاب والسنة. يستشهد بالنصوص على رأيه، وقد يحملها حملاً على رأي رغب فيه.

إنما الذي يهمننا الآن أن الجماعة الأولى التي كانت واحدة ابتدأت الآن تحت تأثير العنصر القبلي أو العنصر السياسي (حول مسئولية الخلافة العامة) تنقسم إلى أحزاب. لكل حزب رأيه، ومبررات هذا الرأي من الدين. وأصبح المؤرخ السياسي الثقافي والاجتماعي يسجل لكل من "الخوارج" و"الشيعة" نشاطه في تاريخ الثقافة الإسلامية كحزبين متقابلين. واتسع الأمر بعد ذلك في أيام معاوية حتى قام إلى جانب هذين الحزبين فريق المعتزلة، أصحاب القول بالاختيار وبأن الإنسان مسئول عن عمله وتصرفاته بناء على أنه صاحب إرادة وصاحب حرية في أفعاله، وفريق أصحاب القول بالجبر الذين ينادون بسلبية الإنسان في الحياة فيما يرى له من أعمال، ويرجعون العمل جميعه في هذا الوجود صغيره وكبيره إلى الله تعالى. و في واقع الأمر قامت هذه الاحزاب جميعا بدور واضح في شرح تعاليم الإسلام وأصوله، وتكونت من شروحه عدة مدارس تعتبر متقابلة ومتفاوتة في وجهات النظر، وإن تأثرت جميعها بالجانب السياسي السائد في توجيه الجماعة الإسلامية.

ففرق الخوارج له رأيه الخاص في الحكومة ورياسة الدولة، والشيعة لهم رأيهم